الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وأصْحَابِهِ أجْمَعين.

قال الإمام الأوّاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى وَغَفَرَ لهُ وللشَّارِحِ وللسَّامِعين:

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَحُّ عُقُولاً وَأَخَفُّ شِرْكاً مِنْ هَؤُلاءِ، فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا على ما ذَكَرْنا، وَهِيَ مِنْ أعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوابِهَا، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِم القُرْآنُ لا يَشْهَدونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، ويُكَذِّبُونَ الرَسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُنْكِرونَ البَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْراً، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي وَنَصُومُ، فَكَيْفَ تَجْعَلونَنا مِثْلَ أُولَئِكَ؟ فَالجَوَابُ: أَن لا خِلافَ بَيْنَ العُلَماءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ في شَيْءٍ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ في الإِسلامِ. وَكَذَلِكَ إِذا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ، كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوحِيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وجوب الصَّوْمِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجِّ. وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ في زَمَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلحَجِّ أَنْزَلَ اللهُ في حَقِّهِمْ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧] ، وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذا كُلِّهِ وَجَحَدَ بالبَعْث كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، كَما قالَ تَعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ الآية[النساء:١٥٠-١٥١].فَإِذَا كَانَ اللهُ تعالى قَدْ صَرَّحَ في كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ الكَافِرِ حَقّاً زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ. وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ في كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا.

****

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى : «**إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَحُّ عُقُولاً وَأَخَفُّ شِرْكاً مِنْ هَؤُلاءِ، فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلاءِ شُبْهة يُورِدُونَهَا على ما ذَكَرْنا، وَهِيَ مِنْ**

أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوابِهَا»؛ لما ذكر رَحِمَهُ اللهُ ما سبق مما يتبين به أن شرك المتأخرين أغلظ من شرك الأوّلين، وأن الأولين كانوا أصح عقولًا من هؤلاء؛ لسلامة لُغتهم ومعرفتهم بدلالات الخطاب ومعاني الكلام، لما قرّر ذلك وذكره رَحِمَهُ اللهُ ونبّه أيضا على أن شرك الأوّلين أخفّ من شرك المتأخرين من وجوهٍ سبق بيانها عنده رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، لما ذكر ذلك قال: «**اعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَها على ما ذَكَرْنا**» أي يثيرونها، على ما ذَكَرْنا أنّ ما عندهم شرك بالله عز وجل، وأن عملهم أغلظ من شرك الأولين ، وكما قدّمت مرّ معنا عنده رَحِمَهُ اللهُ وجهان في تقرير ذلك.

يقول: «**لِهَؤُلاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَها على ما ذَكَرْنا وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوابِهَا**» انظر إلى دقة العبارة، لم يقل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى "فأصغ سمعك لها" أي للشبهة؛ لأن الشبهة لا يُحفَل بها ولا يُهتم بها، وإنما يُحفل ويُهتم بالأجوبة السديدة والنقد المفيد المستمد من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، هذا الذي ينبغي أن يُرعيه المسلم اهتمامه، أما الذي يفتح قلبه للشبهات ويُصغي لها ويُقبِل عليها ويُحاول استيعابها فهذا ربما استقرت الشبهة في قلبه ولم تخرج ، وربما تجلجلت في صدره إلى أن يموت . ولهذا لا ينبغي لمسلم أن يحفُل بشبهة أو أن يُعنى بها أو أن يُصغي لها، ولهذا تكلم السلف رحمهم الله قديما في بيان خطورة من أصغى لصاحب شبهة ؛ فصاحب الشبهة لا يُصغ له ، والشبهة لا يصغ لها ؛ ولهذا قال «فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوابِهَا» اقرأ الشبهة وليكن اهتمامك وعنايتك وضبطك بالجواب، قال «فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوابِهَا»، ثم ذكر الشبهة .

قال : «**وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِم القُرْآنُ**» يعني المشركين الأول الذين نزل القرآن في ذمّهم والتشنيع عليهم وبيان كفرهم وشركهم بالله «**لا يَشْهَدونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، لم يقبلوا الشهادة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[الصافات٣٥: ٣٦]،

«**لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذّبون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»؛ يكذّبونه ويكذّبون بما جاء به ويدّعون بأنه كاهن أو ساحر أو مجنون أو غير ذلك.

«**وَيُنْكِرونَ البَعْثَ**»، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ [التغابن:٧] ينكرون أنهم مبعوثون ليوم عظيم.

«**وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْراً**»، ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر٢٤: ٢٥].

«**يقولون: وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**» أي ننطق بالشهادة ونتلفظ بها، نقول لا إله إلا الله.

«**وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ**» أيضا نشهد بأن محمدا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

«**وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ**» نؤمن بأن القرآن من الله عز وجل، وأنه وحي ، وأنه منزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نقول إنه كتاب سحر كما قال الكفار الأُوَل.

«**وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ**» نؤمن ونعتقد أننا مبعوثون.

«**وَنُصَلِّي وَنَصُومُ، فَكَيْفَ تَجْعَلونَنا مِثْلَ أُولَئِكَ؟**» كيف تجعلوننا مثل أولئك ونحن عندنا هذه الأعمال وبيننا وبينهم هذه الفروق!! وكأنهم يريدون أن يقولوا إن وجود الشرك الذي كان عليه الأولين عندنا ونفعله ونمارسه هذا لا يؤثّر في انتقاض الدّين وانهدامه مادام أن عندنا هذه الأشياء وهي ليست عندهم؛ هذا حاصل تقريرهم لهذه الشبهة: مادام أن هذه الأشياء موجودة، فكوننا نلجأ إلى غير الله، نذبح لغير الله، نستغيث بغير الله نصرف العبادة لغير الله هذا لا يؤثر طالما أننا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونؤمن بالقرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم، هذه لا تؤثر! وهذه فروقات بيننا وبين أولئك تمنع من أن نُلحق بهم أو نُعَدّ أمثالا ونظراء لهم!

هذا حاصل الشبهة ، والشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى طلب الإصغاء لجوابها ولم يذكر عليها جوابًا واحدا؛ بل ذكر رَحِمَهُ اللهُ تسعة أجوبة ،كل واحد منها كاف لكشفها وتعريتها.

فذكر أوّلا الجواب الأول قال : «**فَالجَوَابُ: أَنَّ لا خِلافَ بَيْنَ العُلَماءِ كُلِّهِمْ، أَنَّ الرَّجُلَ إِذا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسلامِ**» يقول هذه محل اتفاق بين أهل العلم، أنه إذا صدّقه في شيء وكذّبه في شيء كافر باتفاق أهل العلم، حتى وإن صلّى وإن صام وإن حجّ وإن صدّق بالبعث، إذا كذّب النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام في شيء فهو كافرٌ باتفاق أهل العلم.

قال : «**وَكَذَلِكَ إِذا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ**» هذا كافرٌ باتفاق أهل العلم، من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض ، أو يؤمن ببعض ما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام ويكفر ببعض هذا باتفاق أهل العلم يكون كافرًا ، فكيف بمن جحد التوحيد وردّ التوحيد الذي هو أعظم شيء جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام؟!

قال ممثلا: «**كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة**» هذا ما حكمه؟ من أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أيضا اعكس الأمر: من أقرّ بوجوب الصلاة وصلى وجحد التوحيد؟ هذا كافر باتفاق أهل العلم وذاك أيضا كافر باتفاقهم.

«**أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ** -أي بالتوحيد والصلاة والزكاة- **وَجَحَدَ وجوب الصَّوْمِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وجوب الحَجِّ**» وذكر هنا رَحِمَهُ اللهُ مباني الإسلام الخمسة: ((بُني الإسلام على خمسة شهادة أن لا إله إلا الله)) وهذا التوحيد، ((وأن محمد رسول الله)) وهذا الإيمان بالرسالة ((وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام)) ، فمن أقر ببعض هذه المباني وكفر ببعض ولو بواحد منها فإنه باتفاق أهل العلم يكون كافرا بالله عز وجل . فتكذيبه بواحد من هذه الأشياء نقضٌ لتصديقه لألوف من الأشياء الباقية، تكذيبه لواحد من هذه الأشياء يُعد نقضا لألوف من الأمور التي يأتي بها من أمور الإسلام ، لأنّ التكذيب بشيء مما جاء به الله في كتابه سبحانه وما جاء في سنّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا يُعدّ ناقضًا للإيمان. يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ : «يعني أنه ليس بمسلم ولا عنده من الإسلام شعرة ، فإذا كذّبه في

واحد وصدَّقه في الألوف من الصلاة والصدقة ونحو ذلك فهو قاضٍ على تلك الألوف ، فإذا كان من صدَّقه في شيء وكذبه في شيء فهو كافر؛ فكيف بالتوحيد الذي هو أعظم فريضة جاء بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : «**وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلحَجِّ**» يعني أتوا بأمور الإسلام ولم ينقادوا للحج «**أَنْزَلَ اللهُ تعالى فِي حَقِّهِمْ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**» .

«**وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذا كُلِّهِ**» أي أقر بمباني الإسلام كلها «**وَجَحَدَ البَعْثَ**» أي جحد بعث الناس وقيامهم لرب العالمين «**كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، كما قالَ تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾**» ؛ فسمّاهم الله تبارك وَتَعَالى كفارًا مع إيمانهم ببعض ما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام، ومثله قول الله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] لكونهم اتخذوا الأنداد مع الله سبحانه وتعالى . فإذا وُجد الأمر الناقل من الملة والناقض للإسلام فمع وجوده لا يُنتفع بالأعمال وإن كثرت والطاعات وإن تعددت.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**فَإِذَا كَانَ اللهُ تعالى قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ كَافِرٌ حَقًّا؛ زَالَتْ هَذِهِ الشُّبَهة**» لأن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا فكيف بمن لم يؤمن بالتوحيد ولم يرضه؟!

قال : «**وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَه إِلَيْنَا**»؛ كان بعض خصومه يراسلونه معترضين على ما يدعو إليه من التوحيد وما يُحذِّر منه من الشرك والتنديد، وما يبينه من الحال السيئة التي عليها الناس بالتعلق بغير الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى وصرف العبادة له؛ فكان بعضهم يراسله معاندين مخاصمين للحق الذي يدعو إليه فيقول : «وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَه إِلَيْنَا».

قال رحمه الله تعالى :

وَيُقالُ أيضا: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاةِ فهو كَافِرٌ حَلالُ الدَّمِ وَالمَالِ بالإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ البَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَصَدَّق بِذَلِكَ كلّه، لا يُجحدُ هذا ولا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا. فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُوَ أَعْظَمُ مِن الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَالصَّوْمِ وَالحجّ، فَكَيْف إِذَا جَحَدَ

الإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ ما جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُو دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لا يَكْفُرُ؟ سُبحانَ اللهِ! ما أَعْجَبَ هذا الجَهْلَ.

****

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ هذا الجواب الثاني على الشبهة ، وبيّن من خلاله مكانة التوحيد وأنه أعظم شيء أمر الله تَبَارَكَ وَتَعالى به، وقرّر رَحِمَهُ اللهُ إذا كان باتفاق أهل العلم من يجحد الصلاة ويجحد الصيام ويجحد غير ذلك من فرائض الإسلام يكفر اتفاقًا؛ فكيف بمن يجحد أعظم شيء في الدين وهو توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعالى.

قال: «**إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاةِ فهو كَافِرٌ حَلالُ الدَّمِ وَالمَالِ بالإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ البَعْثَ**» أي أنه يكون بذلك كافرًا، «**وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَصَدَّق بِذَلِكَ كلِّه**» أي أيضا يكون كافرًا باتفاق أهل العلم، «**لا يُجحدُ هذا**» أي لا يجحده أحد ولا ينكره أحد ، «**ولا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ**».

«**وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا**» أي في الآيات التي ساقها مقررة كفر من جحد شيئا من ذلك ، أو من فرَّق بين أمور الإيمان فآمن ببعضها وكفر ببعضها.

قال: «**فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُوَ أَعْظَمُ مِن الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَالصَّوْمِ وَالحجِّ**» ؛ ولهذا يأتي مقدَّما في النصوص ومنها النص الذي ذكرته قريبا (مباني الإسلام) بُدئ بأعظم المباني وهو التوحيد ، وفي الأوامر في كتاب الله يُبدأ به ، وفي النواهي يُبدأ بالنهي عن ضده، فهو أعظم شيء أمر الله تَبَارَكَ وَتَعالى عباده به، فكيف يكون من جحد الصلاة مع إيمانه بباقي أمور الإسلام كافرًا ! ومن جحد الصيام مع إيمانه بباقي أمور الإسلام يكون كافرًا! ومن يجحد التوحيد مع إقراره بتلك الأمور لا يكون كافرًا؟!

قال: «**فَكَيْف إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ ما جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُو دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لا يَكْفُرُ؟ سُبحانَ اللهِ، ما أَعْجَبَ هذا الجَهْلَ**»، يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ (سُبحانَ اللهِ، ما أَعْجَبَ هذا الجَهْلَ). ولإلزام الخصم بمثل هذا لك أن تسأله عندما يطرح مثل هذا، ولو تريثت قليلا ثم فاجأته بسؤال وقلت له: ما رأيك برجل يعرف الصلاة ويعرف ما جاء في مكانتها وفضلها؛ ولكن يجحد أنها واجبة ويُنكر ذلك، ماذا تقول فيه؟ تجد أنه سيقرر أنه كافر؛ تقول له وإن صام؟ وإن حج؟ وإن وإن وإن ؟ سيقول: كافر لأنه جحد هذه الفريضة المعلومة من الدين بالضرورة، والتي لها من الدلائل الشيء الكثير؛ فقل له: التوحيد أعظم من الصلاة ودلائله أكثر ومكانته أعلى وشانه أرفع؛ فكيف يكون كافرًا بجحد الصلاة، ولا يكون كافرًا بجحد التوحيد!! بل كما قال أهل العلم: التوحيد وحده قد يكفي الإنسان في إسلام العبد ودخوله الجنة، مثل لو أن شخصا تكلم بكلمة التوحيد وشهد بها وأقر ثم قُبضت روحه قبل أن يقوم

بشيء من أعمال الإسلام تكفيه وتنجّيه من عذاب الله ويكون من أهل الجنة، فالتوحيد وحده يكفي ، وهذه الأمور وحدها لا تكفي إلا إذا وُجد التوحيد معها؛ فكيف يُعدّ جحد التوحيد ليس بناقض ؟ وجحد هذه الفرائض ناقضا للإسلام؟!

قال رحمه الله تعالى :

وَيُقَالُ أَيْضاً لهَؤَلاءِ :أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفةَ وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رسول الله وَيُؤَذِّنُونَ وصَلُّونَ . فَإِنْ قَالَ :إِنَّهُمْ يَقولون: أَنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ. قُلْنا :هَذا هُوَ المَطْلُوبُ؛ إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً فِي رُتْبَةِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرَ وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهادتانِ وَلا الصَّلاةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ أَوْ يُوسُفَ أَوْ صَحَابِيّاً أَوْ نَبِيّاً فِي رتَبَةِ جَبَّارِ السَّماوات وَالأَرْضِ؟ سُبحانَ الله، مَا أعْظَمَ شَأْنَهُ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

****

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ هذا الجواب الثالث على هذه الشبهة. قال: «**وَيُقَالُ أَيْضاً لهَؤَلاءِ :أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفةَ وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» أي بنو حنيفة أسلموا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن الصحابة قاتلوهم واستباحوا دماءهم وأموالهم.

«**وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رسول الله وَيُؤَذِّنُون وَيُصَلُّونَ**» وهذه أشياء كانوا هؤلاء قد ذكروها سابقًا في الشبهة؛ قالوا "كيف تسوّون بين من يجحد القرآن ويُكذِّب بالنبي عليه الصلاة والسلام ويشهد أن لا إله إلا الله ويصلّي ويصوم وبين أولئك المشركين!!" فيقول رَحِمَهُ اللهُ : «وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رسول الله وَيُؤَذِّنُون وَيُصَلُّونَ» ؛ لكن ما هي المشكلة عندهم؟

«**فَإِنْ قَالَ**» يعني يقول لك الخصم «**إِنَّهُمْ يَقولون: أَنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ**» يعني مع فعلهم لهذه الأشياء يدَّعون أن مسيلمة نبيًا، مع أنهم يشهدون للنبي عليه الصلاة والسلام بالرسالة، ويشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون؛ لكنهم يشهدون أن مسيلمة نبي ؛ فيقول هؤلاء كفروا لأنهم يشهدون أن مسيلمة نبي.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ «**قُلْنا: هَذا هُوَ المَطْلُوبُ**» يعني في الجواب على هذه الشبهة.

«**إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً إلى رُتْبَةِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرَ وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهادتانِ وَلا الصَّلاةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ أَوْ يُوسُفَ أَوْ صَحَابِيّاً أَوْ نَبِيّاً لرتَبَةِ جَبَّارِ السَّماوات وَالأَرْضِ؟**»، إذا كان من رفع شخصًا إلى رتبة النبوة يكفر بإقرار هؤلاء الخصوم ، فكيف بمن يرفع شخصًا إلى رتبة الألوهية؟! أليس الأمر أعظم؟ ولهذا أيضا لتقرير هذا الرد يمكن أن تقول للخصم: عندما قال هؤلاء يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلي ويصوم؛ فيمكن أن تقول للخصم: ما رأيك في شخص يشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول

الله ويُصلي ويصوم ويدّعي لشخص من الأشخاص أنه نبي؟ ما رأيك فيه؟ ماذا سيقول لك؟ قطعًا سيقول لك هذا يكفر، حتى وإن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وصلى وصام ، إذا يشهد لشخص أنه نبيّ هذا يكفر؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين ولا نبي بعده ؛ فقل له : إذا كان يكفر لرفعه لرجل إلى رتبة النبوة مع أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلي ويصوم ، فكيف لا يكفر من يرفع رجلا –أيا كان مقامه – إلى رتبة الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالى!! فيعطيه من الخصائص أو الحقوق ما ليس إلا لله جَلَّ وَعَلا .

قال: «**فكيف بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ أوْ يُوسُفَ**» شمسان وكذلك يوسف وسيأتي قريبا أيضا تاج، هذه أسماء أشخاص كانوا في زمان الشيخ يُعظَّمون ويُتقرب إليهم وتُصرف لهم النذور، ولهذا ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ محمد بن إبراهيم في سؤالٍ له عن هؤلاء، قال: «أما تاج فهو من أهل الخرج تُصرف إليه النذور ويُدعى ويُعتقد فيه النفع والضر، وأما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رَحِمَهُ اللهُ أنه لا يبعُد عن العارض –وهي منطقة– وله أولاد يُعتقد فيهم، وأما يوسف فقد كان على قبره وثنٌ يُعتقد فيه»؛ فهؤلاء شمسان ويوسف وتاج أشخاص كانوا يُعتقد فيهم، تقدم لهم القرابين والنذور ، ويُلتجأ إليهم؛ فكيف من رفع هؤلاء الأشخاص إلى رتبة الألوهية وأعطاهم من الحقوق ما ليس إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالى لا يكون كافرًا لكونه يُصلي ويصوم ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟! ومن أَدعى في شخص أنه نبيّ يكون كافرًا وإن شهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإن صلى وصام!! .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : «**سُبحانَ الله، مَا أعْظَمَ شَأْنَهُ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**» وهذا عمى في القلوب وضلال من أشد ما يكون ، لأنهم يدركون أن من يرفع شخصًا إلى درجة النبوة يكفر وإن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإن صلى وصام ، ولا يقرون بأن من رُفع إلى درجة الألوهية يكفر لكونه يشهد بهذه الأمور.

قال رحمه الله تعالى :

وَيُقَالُ أَيْضاً: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِن الصَّحَابةِ، وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا في عَلِيٍّ مِثلَ الاعْتِقَادِ في يُوسُفَ وشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا، فَكَيْفَ أجْمَعَ الصَّحَابَةُ على قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابةَ يُكفِّرونَ المُسْلِمِينَ؟ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الاعْتِقَادَ في تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لا يَضُرُّ، وَالاعْتِقَادَ في عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ يُكَفِّرُ؟

****

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ هذا الجواب الرابع على تلك الشبهة، قال: «**وَيُقَالُ أَيْضاً :الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**» كانوا حوله ويعظمونه ويُظهرون محبته وتوليه، «**وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِن الصَّحَابةِ**» كانوا يعيشون بين الصحابة ، وما عرفوه من أمور الإسلام

عرفوه من طريق الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ، لكنهم وقعوا في غلوٍ شنيع ؛ فاعتقدوا في علي رضي الله عنه ورفعوه إلى مقام الألوهية. قال: «**وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثلَ الاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا**» يعني اعتقدوا في علي اعتقادات مثل اعتقادات من اعتقد في شمسان أو في تاج أو يوسف أو غيرهم من الذين كان من يتعلق بغير الله يعتقد بهم ويصرف لهم ما لا يُصرف إلا لله تبارك وتعالى.

قال: «**فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ على قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكفِّرونَ المُسْلِمِينَ؟**»؛ وهذه كلمة كثيرا ما قالها أهل الضلال في حق الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ومن كانوا على نهجه في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، يقولون أنه يكفِّر المسلمين، وتبرأ من ذلك في كتاباتٍ ورسائل عديدة، وبيَّن كذب هذه الدعوة وأنه لا يكفِّر مسلمًا وإنما يكفِّر من كفره الله ورسوله ، وهو من كان كافرًا بدلالة كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وحاشاه وغيره من أئمة العلم والفضل أن يكفروا مسلما ؛ بل هو رَحِمَهُ اللهُ وغيره من أئمة العلم من أشد الناس نهيا عن التكفير.

قال : «**فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ على قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكفِّرونَ المُسْلِمِينَ؟ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الاعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لا يَضُرُّ، وَالاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ يُكَفِّرُ؟**» فهذه أمثلة يسوقها رَحِمَهُ اللهُ وشواهد من الكتاب ومن السنة ومن أفعال الصحابة رضي الله عنهم يبيّن من خلالها فساد هذه الشبهة ووهائها.

قال رحمه الله تعالى :

وَيُقَالُ أَيْضاً: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذينَ مَلَكوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلامَ وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالفَةَ الشَّرِيعةِ فِي أَشْيَاءَ دُون ما نَحْنُ فِيهِ أَجْمَعَ العُلَماءُ على كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلادَهُمْ بِلادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَنْقَذُوا ما بِأَيْدِيهِم مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ.

****

وهذا الجواب الخامس لهذه الشبهة، قال: «**وَيُقَالُ أَيْضاً: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذينَ مَلَكوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالفَةَ الشَّرِيعةِ فِي أَشْيَاءَ دُون ما نَحْنُ فِيهِ أَجْمَعَ العُلَماءُ على كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلادَهُمْ بِلادُ حَرْبٍ**»، بنو عُبيد القدّاح هؤلاء تسلّطوا على المغرب ومصر مدّة من الزمن وكانت المساجد قائمة والأذان يُرفع وتقام الصلاة وتقام الجُمَع؛ ولكنهم عظموا هؤلاء الحكام من بني عبيد ، يدَّعون أنهم من الفاطميين، وهذه دعوة كاذبة بيَّنها أهل العلم وأنها نسبة كاذبة لا صحة لها، فأتباع هؤلاء عظموهم واعتقدوا فيهم اعتقادات

لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى ، فاتفق أهل العلم على كفرهم وقتالهم، وأنّ بلادهم بلاد حرب ، مع أن بلادهم فيها إقام الجمعة والجماعة والصّلاة.

قال: «**وَغَزَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَنْقَذُوا ما بِأَيْدِيهِم مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ**» أي ولم يجعلوا الشهادتين والصلاة والزكاة والجمعة والجماعة فرقًا مؤثرا عندهم أو مانعًا من الحكم عليهم بالكفر وقتالهم واعتبار بلدهم بلاد حرب، لم يعتبروا ذلك مانعًا من ذلك.

قال رحمه الله تعالى :

وَيُقَالُ أَيْضاً: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلاَّ لأَنَّهُم جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالقُرْآنِ وَإِنْكَارِ البَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَما مَعْنى البابِ الَّذِي ذَكَرَه العُلَمَاءُ في كُلِّ مَذْهَبٍ: «بَابُ حُكْمِ المُرْتَدّ» وَهُوَ المُسْلِمُ يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلامِهِ ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَنواع كَثِيرةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْها يُكَفِّرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَروا أَشْيَاءَ يَسِيرةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَها مِثْلَ كَلِمةٍ يَذْكُرُها بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كلمةٍ يَذْكُرُها على وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

****

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ هذا الجواب السادس على هذه الشبهة، قال: «**وَيُقَالُ أَيْضاً: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلاَّ لأَنَّهُم جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالقُرْآنِ وَإِنْكَارِ البَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ**» يعني كما يدعيه صاحب هذه الشبهة والمثير لها؛ إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلاَّ لأَنَّهُم جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالقُرْآنِ وَإِنْكَارِ البَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ من الأمور التي ذكروها في الشبهة .

يقول الشيخ في الجواب : «**فَما مَعْنى البابِ الَّذِي ذَكَرَه العُلَمَاءُ في كُلِّ مَذْهَبٍ: بَابُ حُكْمِ المُرْتَدّ**» ما معنى هذا الباب؟ وفي كل المذاهب يوجد هذا الباب (باب حكم المرتد)، وتحت هذا الباب تُذكر الأمور التي تحصل بها الردة عن الإسلام ويحصل بها انتقاض الإسلام، وتجد من يذكر هذه الأمور التي يحصل بها الردة بين مطوّل ومختصر، منهم من يذكر أشياء كثيرة وتفاصيل دقيقة ، ومنهم من يذكر ما هو دون ذلك ، لكنهم جميعًا متفقين على أن المرء يرتد عن دينه بفعل هذه الأمور التي تكون بها الردة عن الإسلام ، سواءً حصل منه أمرًا واحدا ينقض الإسلام أو أكثر من واحد، ولهذا يقول الشيخ : «**فَما مَعْنى البابِ الَّذِي ذَكَرَه العُلَمَاءُ في كُلِّ مَذْهَبٍ: بَابُ حُكْمِ المُرْتَدّ**»، إذا كنتم تقولون أن الكفار الأُول لم يُكفَّروا إلا لأنهم جمعوا بين هذه الأشياء ؛ يشركون ويكذِّبون وينكرون القرآن وينكرون البعث ويكذبون بالنبي عليه الصلاة والسلام ولهذا كُفّروا، إذًا ما معنى «باب حكم المرتد» الموجود في كتب الفقه عموما؟

قال: «**وَهُوَ المُسْلِمُ الذي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلامِهِ**» هذا تعريف للمرتدّ ؛ قال وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه.

«**ثُمَّ ذَكَرُوا أَنواعا كَثِيرةً**» أي تحصل بها الردة.

«**ثُمَّ ذَكَرُوا**» أي أئمة الفقه وعلماء الفقه من كل المذاهب «**ذَكَرُوا أَنواعا كَثِيرةً كُلُّ نَوْعٍ مِنْها يُكَفِّرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَروا أَشْيَاءَ يَسِيرةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَها ، مِثْلَ كَلِمةٍ يَذْكُرُها بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كلمةٍ يَذْكُرُها على وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِب**» عُدّت ناقضًا للإسلام وموجبًا للردة عن الإسلام . فإذًا ما معنى ذلك؟ وما معنى هذا الكتاب الذي في جميع كتب الفقه باختلاف المذاهب؟ هذا أيضا جواب آخر على هذه الشبهة.

قال رحمه الله تعالى :

وَيُقَالُ أَيْضاً: الَّذِين قَالَ اللهُ فِيهِم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾، **أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ وَيُصَلُّونَ معه وَيُزَكُّونَ وَيَحُجُّونَ وَيُوحِّدُون . وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تعالى فِيهِم** ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، **فَهَؤلاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَهُمْ مَعَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ قَالُوا كلمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُم قَالُوهَا عَلى وَجْهِ المَزْحِ . فَتَأَمَّلْ هذِهِ الشُّبْهَةَ وَهِيَ قَوْلُهُم: تُكَفِّرُونَ من المُسْلمينَ أُناساً يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ ويحجُّون؛ ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ ما في هَذِهِ الأَوْرَاقِ.**

****

قال: «وَيُقَالُ أَيْضاً» أي في الجواب على هذه الشبهة وهو الجواب السابع

«الَّذِين قَالَ اللهُ فِيهِم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾» تأمل الآية ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ إسلامهم أي شهادتهم أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ؛ هذا هو الإسلام الذي كانوا عليه، فأثبت الله جل وعلا لهم إسلاما وكفرا بعده سببه أنه قالوا كلمة الكفر ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ ؛ فإذًا من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلي ويصوم ثم يحصل منه أمرًا ينقض الإسلام أيبقى على إسلامه مع وجود الناقض؟! أتفيده الشهادة وتفيده الصلاة ويفيده الصيام مع وجود الناقض؟! حاشا. قال ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾

قال: «**أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ؛ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ معه، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوحِّدُون**») من أين للشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنهم يصلون معه ويزكون معه ويحجون

معه ويوحدون معه؟ لأن الله أثبت لهم إسلامًا، قال: ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ أثبت الله لهم إسلامهم ، وأثبت لهم كفرهم بعد هذا الإسلام، أسلموا ، ما معنى أسلموا؟ أي شهدوا أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، أتوا بأمور الإسلام؛ لكن لما قالوا كلمة الكفر انتقض هذا الإسلام ، فكيف يقول هؤلاء تجعلوننا مثل أولئك؟ يعني مثل المشركين مع أننا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة. فهذه الآية فيها كشف لهذه الشبهة.

قال: «**وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قالَ اللهُ تعالى فِيهِم ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾**» كفروا بعد إيمانهم بكلمة الكفر التي قالوها: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء"، ولما قال لهم في ذلك ، قالوا "إنما كنا نخوض ونلعب" يعني ما قصدنا حقيقة الأمر وإنما كنا نُذهب عن أنفسنا عناء الطريق ومشقة السفر ، فمن باب المداعبة والمزاح قلنا هذه الكلمة؛ فنزل قول الله ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وكان بعضهم يمسك بخطام الناقة ويعتذر للنبي عليه الصلاة والسلام من هذه الكلمة ولا يلتفت عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يزيد على هذه الآية ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾. فكان هؤلاء يشهدون أن لا إله إلا الله ويصومون ويصلون وجاهدوا مع النبي عليه الصلاة والسلام ونزلت فيهم هذه الآية ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾.

قال: «**فَهَؤلاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَهُمْ مَعَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ قَالُوا كلمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُم قَالُوهَا عَلى وَجْهِ المَزْحِ**» ؛ قالوا في حق فضلاء الصحابة: "ما رأينا أجبن من قرائنا هؤلاء ولا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء"، فنزلت هذه الآية ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ والشيخ يقول: «قَالُوا كلمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُم قَالُوهَا عَلى وَجْهِ المَزْحِ» فكفروا مع أنهم يصلون ويصومون ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويجاهدون مع النبي عليه الصلاة والسلام وكفروا بذلك!! فمن كان يصلي ويصوم ويشهد أن لا إله إلا الله ويجعل مع الله شريكًا ندا يصرف له من الحقوق ما ليس إلا لله ألا ينتقض إسلامه؟ قد قال الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

قال: «**فَتَأَمَّلْ هذِهِ الشُّبْهَةَ وَهِيَ قَوْلُهُم:تُكَفِّرُونَ من المُسْلمينَ؛ أُناساً يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ ما في هَذِهِ الأَوْرَاقِ**» أي أنّ هذه الأجوبة السبعة التي ذكرها رَحِمَهُ اللهُ عظيمة الشأن عليّة القدر كبيرة الفائدة وصفها رَحِمَهُ اللهُ أنها أنفع ما في هذا الكتاب.

قال رحمه الله تعالى :

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً: ما حَكى اللهُ تعالى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلامِهِم وَعِلْمِهِم وَصَلاحِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، وَقَول أُنَاسٌ مِن الصَّحَابةِ : "اجْعَلْ لَنَا يا رسول الله ذَاتَ أَنْواطٍ كما لهم ذات أنواط ؛ فَحَلفَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَذا مثل قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لموسى ﴿اجْعَل لَّنَا إِلهاً﴾

****

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ أيضا جوابين إتماما لما سبق وإضافة إلى سبق، مع أن ما سبق كل جواب من الأجوبة التي ذكرها رَحِمَهُ اللهُ كافٍ في كشف هذه الشبهة ؛ لكن لما كانت تُذكر وتكرر وتعاد وتُبدى وأثَّرت في أناس كثيرين، حرص رَحِمَهُ اللهُ على أن يجيب عليها بأجوبة عديدة، ولهذا نلاحظ أن هذه الشبهة هي الشبهة التي أجاب عنها بأجوبة كثيرة، يعني بقية الشبَه إما يجيب عنها بجواب واحد أو جوابين أو ثلاثة، أما هذه الشبهة فأجاب عنها بقرابة التسعة أجوبة، هذه السبعة التي مضت وهذين الجوابين هنا ، وهذه كلها أجوبة منه رَحِمَهُ اللهُ تعالى على تلك الشبهة.

قال: «**وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً: ما حَكى اللهُ عز وجل عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلامِهِم وَعِلْمِهِم وَصَلاحِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى** ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾» ؛ هؤلاء أناس كانوا على علم وعلى شيء من الصلاح وإلى جنب النبي موسى عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل ثم طالبوه هذه المطالبة قالوا : ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. «**وَقَول أُنَاسٌ مِن الصَّحَابةِ :اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْواطٍ كما لهم ذات أنواط؛ فَحَلفَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَذا مثل قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾**».

قال رحمه الله تعالى :

وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِها عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قالوا للنَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجعل لنا ذَاتَ أَنْواطٍ لَمْ يَكْفُرُوا. فَالجَوَابُ أَنْ تَقُول: إِنَّ بَنِي إِسْرَائيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفْعَلُوا، وَلاَ خِلافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا، وَكَذَلِكَ لا خِلاَفَ أَنَّ الذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ واتَّخَذُوا ذاتَ أَنْواطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لكَفَرُوا، وَهَذا هُوَ المَطْلُوبُ.

****

قال رَحِمَهُ اللهُ : «**وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِها عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ**» أي عندما نحتج عليهم بهذه القصة يثيرون شبهة «**وهي أنهم يقولون : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قالوا للنَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجعل لنا ذَاتَ أنواط لَمْ يَكْفُرُوا بذلك**» ؛ وحاصل هذه الشبهة: إذًا لماذا تكفِّروننا وتستدلون على تكفيرنا بهذه الآية وبهذا الحديث؟ مع أن هؤلاء لم يكفروا بذلك! أي كيف تحتجون بهاتين القصتين على الحكم علينا بالكفر؟

قال : «فَ**الجَوَابُ :أَنْ تَقُول: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا**» طلبوا، قالوا: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فهم طلبوا ولم يفعلوا، «**وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَفْعَلُوا**» قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ، لما رأوا للمشركين سدرة يعكفون عندها ويعلقون عليها أسلحتهم تبركا قالوا: "يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط" وكانوا حدثاء عهد بإسلام، فقال عليه الصلاة والسلام ((والذي نفسي بيده قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)) .

فيقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: أن الذين مع موسى لم يفعلوا والذين مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لم يفعلوا «**وَلاَ خِلافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا، وَكَذَلِكَ لا خِلاَفَ أَنَّ الذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ واتَّخَذُوا ذاتَ أَنْواطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا، وَهَذا هُوَ المَطْلُوبُ**»؛ والشيخ رَحِمَهُ اللهُ طالما نهاهم عن الشرك وحذرهم منه وذكر لهم الدلائل على بطلان ما هم عليهم وبيَّن لهم حق الله وذكر لهم الآيات والحجج والبراهين من كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ومع ذلك يعاندون ويخاصمون.

قال رحمه الله تعالى :

وَلَكِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ تُفِيدُ :أَنَّ المُسْلمَ بَلِ العَالِمَ قَدْ يَقَعُ فِي أَنْواعٍ مِنَ الشِّرْكِ لا يَدْرِي عَنْها، فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ والتَّحَرُّزَ وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجاهل "التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ" أَنَّ هذا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ وَمَكَايِدِ الشَّيْطَانِ. وَتُفِيدُ أَيْضاً: أَنَّ المُسْلِمَ المُجْتَهِدَ إذا تَكَلَّمَ بِكَلامٍ كُفْرٍ وَهُوَ لا يَدْرِي فَنُبِّهَ عَلى ذَلِكَ وَتَابَ مِن ساعَتِهِ أَنَّه لا يُكفّرُ؛ كَما فَعَلَ بَنُو إِسْرائِيلَ وَالَّذِينَ سَأَلُوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَتُفِيدُ أَيْضاً: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُكفّرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الكَلامُ تَغْلِيظاً شَدِيداً كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

****

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ فوائد تستفاد من هذه القصة ، يستفيدها المسلم وينتفع بها.

قال : «**وَلَكِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ تُفِيدُ :أَنَّ المُسْلمَ –بَلِ العَالِمَ– قَدْ يَقَعُ فِي أَنْواعٍ مِنَ الشِّرْكِ لا يَدْرِي عَنْها**» وهذا يدخل في باب الخوف من الشرك؛ قد عقد رَحِمَهُ اللهُ في كتابه التوحيد باب نافعاً عنوانه «الخوف من الشرك»

وبدأه بقول الله تعالى ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ونقل عن إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم!!» .

قال : «**وَلَكِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ تُفِيدُ :أَنَّ المُسْلِمَ –بَلِ العَالِمَ– قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لا يَدْرِي عَنْهَا**» ولهذا أيضا جاء في الاستعاذة قد ثبتت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم))، فرق بين من يخاف من الشرك على نفسه وعلى ولده ويدعو الله جل وعلا أن ينجّيه منه ، وبين من هو متلبس بالشرك متلطخ به ويدَّعي أنه بريء منه.

قال : «**فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ والتَّحَرُّزَ**» هذه القصة تفيد التعلم والتحرز من جهة ماذا؟ إذا كان هؤلاء أصحابا لموسى من أولي العزم من الرسل يمشون معه ويتعلمون ويرونه ويتفقهون على يديه ثم فجأة يقولون: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾!! وأيضا هؤلاء الصحابة مع النبي عليه الصلاة والسلام ومتجهين إلى القتال في سبيل الله ونصرة لدينه ومعهم السلاح ويمرون بسدرة ويقولون: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" ، فيقول عليه الصلاة والسلام : ((إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة))، فإذًا هذا يفيد التحرز، إذا كان هؤلاء قالوا هذه الكلمة وهم كانوا يمشون جنبًا إلى جنب مع النبي عليه الصلاة والسلام في قتال وفي جهاد في سبيل الله، فهذا يفيد التعلم والتحرز؛ التعلم أي للتوحيد وأيضا معرفة ضده وهو الشرك، والتحرز من الوقوع في الشرك بالله ، التحرز أي الاحتياط والبعد والمجانبة للشرك ووسائله وأسبابه.

«**فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ والتَّحَرُّزَ وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ "التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ" أَنَّ هذا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ وَمَكَائِدِ الشَّيْطَانِ**» يعني بعض الناس لا يفهم التوحيد وإذا أُريد تعليمه التوحيد قال : التوحيد نعرفه، لا يخفى علينا التوحيد، من يجهل التوحيد؟ التوحيد فهمناه ، ولا يقبل أن يسمع درسًا أو كلمة في التوحيد، يقول: التوحيد فهمناه ما نحتاج إلى أن نبيّنه، أو بعضهم يقول التوحيد لا يحتاج أن يُدرس مرات وكرات وأن تُصرف في دراسته أوقات، يمكن في دقائق ننتهي منه، ما يحتاج الأمر إلى ذلك، التوحيد فهمناه .

فهذه القصة تفيد التعلم أي للتوحيد ومدارسته ، والاحتراز ، وتفيد أن كلمة "التوحيد فهمناه" التي قد يقولها البعض هذه كما قال الشيخ لا تصدر إلا من جهل وهي من مكائد الشيطان. يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ : هذه الكلمة قد صدرت من بعض الطلبة لما كثُر التدريس في التوحيد متنًا أو كتب تقرر التوحيد وكثر ذلك سئموا وأرادوا القراءة في كتب أخرى –سئموا أي ملّوا من القراءة أصابهم السآمة والملل من القراءة في التوحيد وأرادوا أن يقرؤوا في كتب أخرى– فقالوا هذه الكلمة: خلاص التوحيد فهمناه لا نحتاج إلى دراسة توحيد، فقال: هذه الكلمة صدرت من بعض الطلبة . قال : وقيل إنها من المراسلين –يعني الذين يراسلون الشيخ– فنقم عليه المصنف في هذا القول. يعني كان يراسلهم بالتوحيد ويذكر لهم شواهد وأدلة فكتب إليه بعضهم لا ترسل لنا ، التوحيد فهمناه، التوحيد مفهوم عرفناه ما نحتاج أن تكتب لنا شيئا في التوحيد. فيقول أن هذه القصة تفيد أهمية

التعلم للتوحيد ودراسته ، وأهمية الاحتراز من الشرك مهما كان الإنسان في المكانة ، وأن الاستهانة بدراسة التوحيد هذه من أسباب الجهل وهي مكائد الشيطان.

قال: «**وَتُفِيدُ أَيْضاً:أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ**» المجتهد في إسلامه وعبادته «**إذا تَكَلَّمَ بِكَلامٍ كُفْرٍ وَهُوَ لا يَدْرِي**» خرجت منه كلمة الكفر وهو لا يدري «**فَنُبِّهَ عَلى ذَلِكَ وَتَابَ مِن ساعَتِهِ أَنَّه لا يَكْفُرُ؛ كَما فَعَلَ بَنُو إِسْرائِيلَ وَالَّذِينَ سَأَلُوا النبي عليه الصلاة والسلام**»)) أي أن موسى لم يكفرهم بذلك وأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكفرهم بذلك ، لأنه قالها وهو لا يدري ثم نُبه من ساعته وانتبه وتاب إلى الله ورجع عن كلامه؛ هذا لا يكفر . لكن شخص تنبهه وتأتي له بالآية والحديث والنصوص والأدلة والحجج والبراهين ويُصر على أعمال الشرك والكفر بالله سبحانه وتعالى.

قال : «**وَتُفِيدُ أَيْضاً**» هذه كلها فوائد مستنبطة من القصة.

قال : «**وَتُفِيدُ أَيْضاً:أَنَّهُ لَوْ لَمْ يكفّر فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الكَلامُ**») يعني لو لم يكفّر لقوله هذه الكلمة الكفرية كونها صدرت عنه وهو لا يدري لا يعني ذلك أنه يُترك؛ بل يغلَّظ عليه في الكلام ويشدَّد عليه في القول ، مثل ما غلّظ موسى وشدد القول على أولئك ، وكما أيضا غلّظ نبينا عليه الصلاة والسلام القول على الذين قالوا "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" .

قال: «**وَتُفِيدُ أَيْضاً:أَنَّهُ لَوْ لَمْ يكفّر فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الكَلامُ تَغْلِيظاً شَدِيداً، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» أي مع هؤلاء الصحابة الذين قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط".

ويكون بهذا الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أجاب عن الشبهة من وجوه كثيرة مسددة موفقة نافعة جدًا لطالب العلم ، وأيضا ذكر جواب هذا الاعتراض الذي قد يورده البعض على جواب الشيخ الأخير رَحِمَهُ اللهُ وغفر له وجزاه خير الجزاء.

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.